انطباعات زائر

اليمنيون يملكون الحضارة والمعاصرة

كثير هي البلدان التي نزلت في رحابها وتجولت في أرجائها والتقيت بأهلها وناسها، كثيرة هي الليالي التي لم أنم فيها وظللت مسهداً مؤرقا وأنا في تلك البلدان ، حيث لاتشعر فيها بانك واحد من هؤلاء البشر، فعلى الرغم من الترحاب المبالغ فيه ، تجد في لحظة أخرى أن الامور ليست على مايرام حين تشعر أن هناك من يراقبك ويحسب الخطوات عليك ، تشعر وكأنك في مخيم كبير وعيون الريبة والشك تلاحقك وكأن مجرما جديدا لاتعرفه ولايمت اليك بصلة قد سكن جسدك وأثار لدى الآخرين توجسا وخيفة مما قد يقدم عليه.

فاروق عبدالجبار

لي الآن ستة عشر شهرا في هذا البلد «اليمن السعيد» هكذا كنا نسمع عنه وهكذا كنا نتكلم عنه في مجالسنا الخاصة، لكن هل السمع سيكون كما المشاهدة العيانية مباشرة؟

بالتأكيد ستكون الإجابة كلا، فالربما، وهذا أكيد أن من نقل اليك الأخبار عن اليمن السعيد قد نسي شيئا أو تناسى أشياء وأضاف من عنده ماكن مجافيا للحقيقة.

لقد تجولت في هذا البلد الكريم المضياف، هذا البلد الذي يعبق بإرث الحضارة والمجد، هذا البلد الذي لايدخر أهله وسعهم في سبيل المحافظة على ما ورثوه وإضافة كل محدث في التكنولوجيا للارتقاء والنهوض به ليصل الى مستوى الأقطار التي يقال عنها (متقدمة) ولكن مابالك ببلد يملك الحضارة والحاضر ويمسك بناصية العلم في أن واحد فهل هناك من أحد لم يسمع أو يقرأ عن حضارة سبأ والملكة أروى والخط الحميري وسد مأرب الذي كان ومازال عنوانا لحضارة ضاربة في القدم (سد مأرب)ما أن يسمع المرء به حتى يبدأ التساؤل على أي نهر يقع هذا السد؟ ومن بناه؟ وأين يقع؟

أما أين يقع فلا تحتاج الاجابة للكثير من الجهد في التفكير، فلقد إرتبط اسم (سد مأرب) باسم (اليمن السعيد) فكونا أصرة متلازمة لعنوان واحد ألا وهو اليمن بكل تفصيلاته وتضاريسه ومناخه، أما من بناه، فلا شك ان عمالقة اليمن وسواعدهم السمر القوية التي قلعت الحجر وفجّرت الصخر هم بناته وهم من اشاده في زمن لم نكن آلات الحفر موجودة ولامعدات البناء مبذولة لكن الله عز وجل ألهم هؤلاء البشر وزودهم بطاقة هائلة من المعرفة والإتقان ليشيدوا ذلك الصرح العملاق قبل اكثر من الفين من السنين ، اما على أي نهر ، فلا نهر في بلاد سام بلاد الازل لكن العلي القدير منح أهله انهارا تدر عليهم من السماء خيرا عميما ورزقا حلالا ومن أرض معطاء تمور بالخيرات وتنبع منها خيرات جمة متنوعة الاشكال والالوان فاعنابها مشهورة في التاريخ والامثال (بلح الشام وعنب اليمن) رمّانهامن ألذ الفواكه تفاحها من أشهى الانواع ، هل اواصل واستمر في التعداد، وهل استطيع ان أعدد وأحصي ما يزرع ومايُنبت كل هذا مالاطاقة عليه ويحتاج الى متخصص ليصنف ويضع المجلدات في كل معلومة من تلك المعلومات وليحصي ما وهب الله من خيرات ونعماء لهذا البلد العزيز بإهله وقيادته الحكيمة، قيادة الوحدة الوطنية والتحرر الشامل التي جمعت شتات الوطن ليكون دولة واحدة مهابة في وجودها ، عزيزة الجانب .. قوية متماسكة يشدّ بعضها البعض، شمال وجنوب شرق وغرب وطن واحد وارض واحدة من المهرة الى صعدة من حضرموت الى البحر الاحمر من بيحان الى الحديدة والخوخه ، من خور مكسر الى جبل صليف وجيصين.

وهل هناك من يريد تمزيق هذا الجسد الواحد الا وهو طامع طامح في خيرات البلد السعيد الآمن وموقعه المتميز فهو المفتاح الجنوبي للبحر الاحمر وعلى شواطئه الجنوبية ينتهي المحيط الهندي ليكون بحر العرب وخيراته وثروته السمكية محط انظار الطامعين، وعند عدن سنجد الجنة المفقودة والتي كثيرا ما ألهبت خيال الذين يبحثون عن الجمال والراحة في كل مكان وزمان.

سرت وتجولت كثيرا في شوارعه وازقته آمنا مطمئنا لايعكر صفو هدوئي شيء ولا التفت خائفا مضطربا وجلا مما قد يلحقني من ضرر أو خطر داهم لم أحسب حسابه ، الشيء الوحيد الذي لاتفاجأ به الطيبة المفرطة وابداء المساعدة ، حيث لم أجد وفي معظم الأماكن التي زرتها شعبا كريما مضيافا طيبا وكان الله سبحانه وتعالى قد مزج حليب امهاتهم بتلك الطيبة والصفات الرائعة القليلة الوجود في زمننا هذا الذي لم يعد يعرف الاخ أخاه والابن أباه، وأضاف فوق كل ذلك عسلا من دوعن.

تجولت في تعز وعدن والحديدة وذمار وإب وصنعاء ورأيت العجب العجاب رأيت المشاريع العمرانية والاسكانية التي تضطلع بها الدوائر الحكومية الخدمية والصناعية والزراعية، رأيت المصارف والبنوك رأيت الخير وهو يتدفق، رأيت اليمن يزهو في ظل قيادته السياسية الحكيمة ، رأيت وسائل الاتصال الحديثة والمتطورة ، رأيت خلية من خلايا العمل الدؤوب المستمر ليل نهار لغرض إنشاء مجار لتصريف المياه، رأيت الشوارع وهي تفتح وتعبّد وتهيأ لمرور آمن وإنسيابية رغم الزحم الشديد الذي تنوء به الشوارع لكثرة السيارات العامة والخاصة لكن رجال شرطة المرور والأضوية المرورية والجسور التي تقام الآن على تقاطعات الطرق وفوق السايلة، كلها أمور يحاول المسؤولون عنها التغلب فيها على الاختناقات المرورية.

إن بلدا آخر غير اليمن كان سيسقط اعياءً لكثرة مايقوم من امور بنويه إلا ان القيادة السياسية المحنكة وعلى رأسها موحد البلاد وقائده نحو المجد والذرى الاخ المشير علي عبدالله صالح ومعارف عنه من دراية واسعة وفهم لمتطلبات الشعب والذي جعل نصب عينيه خدمة البلاد والعباد لهو قادر لايصال اليمن ليكون سعيدا آمنا مطمئنا يرفل بالخير الوفير. قد يقول البعض باني بالغت وأطنبت وغالبت وضخمت الامور ووضعتها خارج إطارها، لكني أقول : لو قلت أضعاف ماقلته سابقا وكتبته فلن أصل الى ما أردت أن أعبر عنه لهذا الشعب ولهذا الوطن ولهذه السياسة الحكيمة الواعية لمتطلبات الشعب.

وآخيرا أقول: هنيئا لي لأني بين أهلي وإخواني.

■ سد مارب دلالة على الاصرار بوصل الحارض بالماضي المزهر

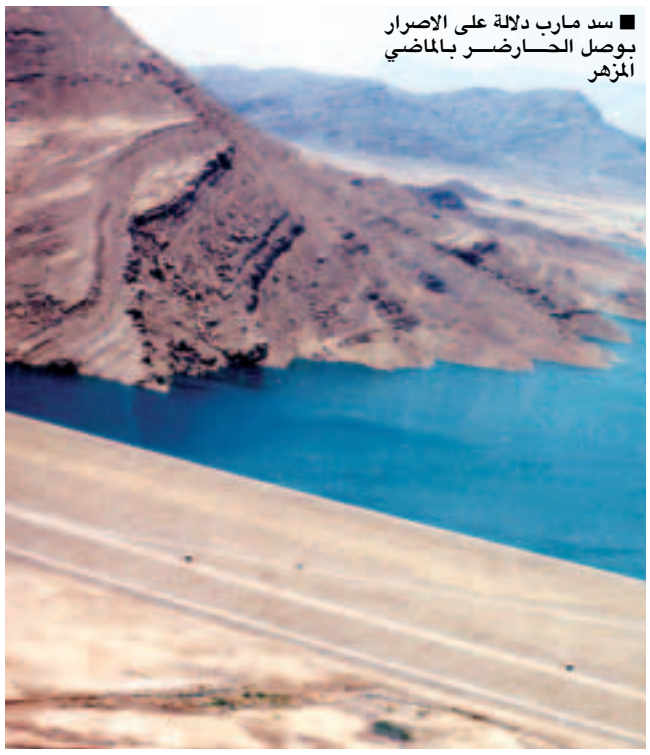

في العدد الجديد من مجلة «الفكر العربي المعاصر»:

كيف يمكن التفكير في الانقلاب الكوني الراهن؟!

■.. كيف يمكن التفكير في الانقلاب الكوني الراهن؟ ذلك هو المحور الرئيسي للعدد الجديد من مجلة «الفكر العربي المعاصر» الصادرة عن مركز الانماء القومي - بيروت بارس في وقت واحد - جاء البحث الأول لرئيس التحرير/ مطاع صفدي ليطرح المقاربة الفلسفية الأولى بمثابة تحديد المنهج للتفكير في هذا الانقلاب الكوني الراهن الذي يداهم إنسانية الألفية الثالثة، وذلك تحت عنوان :(المقدمة في نظرية القطيعة الكارثية).

وتنطلق المقاربة من موضوعه أن العصر يفتح على مرحلة المدنية الشمولية للحضارات المعاصرة، فكل حضارة تبحث عن طريقتها للاتصال بهذه المدنية، ما يدعوها الى ابتكار أسلوب قطيعتها الخاصة مع عوائقها الذاتية، الواقعة تحت سلطة تصورها لهويتها المنضمة على خطوط دفاعاتها الأصلية ضد تهديد الهويات الأخرى.. فلا سبيل الى تحرير الحضارة ذات الوجه القومي من عنفها الخاص إلا بقدر ما تحقق الانفتاح على المدنية الشمولية، ذات الطبيعة القائمة على أساس قبول التنوع الثقافي ضمن وحدة الهوي الانساني، لكن يحدث لنموذج معين من الحضارة المتفوقة بالتقانة العالية، أن تتوهم امكانية التسلط على المدنية وادعاؤها احتكار التملك من ثمارها العائدة الى شراكة بقية الحضارات كلها، وعند ذلك يدخل عصر المدنية الذي يعيش مقدماته الكونية منذ الآن، في صراع التصفية الأخيرة مع ذلك النموذج الاحتكاري الباحث عن الهيمنة الأحادية.

ويعالج الباحث/ فتحي المسكيني حديث القيامة بين «الجليل» و«الهائل» وهما مثالا الحضارة المتفتحة على الهوي الانساني والحضارة الأخرى المتمسكة بثقافة الكم والعنف المطلق كسبيل وحيد للدفاع عنه.

ويطرح الباحث/ أحمد برقاوي (وجهة نظر) حول: العالم اليوم ومآزق الأطراف، ثم يقدم المحور بحثاً مستفيضاً عن الزمان والتاريخ والكارثة من خلال فلسفة فالتر بنيامين وأزمة التقدم، وكذلك نقرأ دراسة شاملة تتناول تحولات الهوية والعولمة والحضارة، ويعالج الكاتب التونسي/ مصطفى الكيلاني سؤال القيمة اليوم: التسليع، ثم ماذا؟ وتعرض وفاء شعبان من لبنان الأساس الفلسفي لإشكالية المواطن المعاصر.

ونصل الى المساحة الثابتة من كل محاور (الفكر العربي المعاصر) وهي المخصصة لدراسات حداثية معمقة حول الشخصيات الفلسفية العالمية، وفي هذا العدد ثلاثة أبحاث هامة عن هيغل باعتباره مبدع أقدم برنامج نسق للمثالية الألمانية للباحث/ محمد التركي، وعن ديكارت ونقد المنهج الأرسطي للأستاذ/ أو يعرب المرزوقي، وعن هانس جوناس وإثيقا المستقبل للباحثة/ أم الزين مسكيني.

وأما المحور الثالث فيدور حول السيميائية الاجتماعية «رؤية منهجية بقلم/ محسن بو عزيزي والتواصل البيداغوجي والعنف الرمزي بما هو مقاربة نسقية، وأخيراً عودة الى معالجة جديدة لاشكالية العلاقة بين الأسطورة والرمز.

وتدعو المجلة الى مشاركة المفكرين والباحثين في محور عددها المقبل: السؤال الفلسفي بين الذات والآخر مجدداً، وهكذا تتابع اصدارات المجلة المعمقة عن مركز الإنماء القومي بيروت.

أكدت أن «ستار أكاديمي» وأخواتها تدمر عقول الشباب العربي:

دراسة علمية تحذر من مخاطر برامج ما يسمى بـ (تلفزيون الواقع)

■.. حذرت دراسة علمية من الأضرار البالغة التي قد تصيب الوطن العربي من جراء انتشار برامج «تلفزيون الواقع» المقتبسة من الغرب على القنوات الفضائية العربية والتي تجمع شباباً وفتيات في مكان واحد. ودعت الى استراتيجية عربية للتصدي لما اعتبرته «غزواً أجنبياً» للاعلام العربي من خلال الفضائيات.

وأكدت الدراسة التي أصدرتها جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا في الامارات أن هذه البرامج تسهم في «تعميق الانحراف الاجتماعي، وتدمير قيم الشباب الايجابية وهويتهم الثقافية».

وجاءت تلك الدراسة لترصد تداعيات التجربة التي بدأتها عدد من القنوات الفضائية العربية منذ نحو عام، وتركزت في عرض نسخ معربة من برامج أمريكية وأوروبية تقوم فكرتها على إقامة عدد من الفتيان والفتيات في منازل وسط ظروف محددة، أمام كاميرات تلفزيون، بينما يعيشون حياة طبيعية، ويتولى في هذه الأثناء مشاهدو هذه القنوات اختيار أفضل هؤلاء المشاركين، ليصبحوا مغنيين أو راقصين.

وأظهرت الدراسة التي أعدها الدكتور/ ياس خضير البياتين من كلية المعلومات والاعلام والعلاقات العامة بجامعة عجمان ،أن وسائل الاعلام العربية شاركت بدور أساسي في تعميق الغزو الاعلامي الأجنبي من خلال مدة ساعات البث المخصصة للمواد الأجنبية، وبروز ظاهرة البرامج الواقعية، أو ما يسمى «تلفزيون الواقع» دون أن تأخذ بنظر الاعتبار لقيم المجتمع العربي وتقاليده وأنماطه الاجتماعية.

من جهة أخرى لاحظت الدراسة التي حملت اسم «الغزو الاعلامي والانحراف الاجتماعي: دراسة تحليلية لبرامج الفضائيات العربية» ان القاسم المشترك لبرامج القنوات الفضائية العربية هو المادة الترفيهية، وأفلام الجريمة والعنف والرعب والجنس أي أن ثقافة الصورة تطغى عليها أكثر «مسببة» ظاهرة سلبية تتمثل في الاغتراب، والقلق، وإثارة الغريزة والفردية، والعدوانية، ودافعية الانحراف، وسلطة المال والنساء وحب الاستهلاك، والأنانية، والتمرد».

وأشار معد الدراسة الى أن هذه المفردات تؤثر في إدراك الشباب وسلوكهم ومعارفهم، بحيث تتحول من صورة ذهنية الى نشاط عملي، عن طريق المحاكاة والتقليد وعمليات التطويع الاجتماعي.. وحول المشكلات الاجتماعية المتوقع أن تنشأ بسبب تلك البرامج ،حذرت الدراسة من أنه «من المحتمل أن تخلق برامج الفضائيات العربية الاضطراب الاجتماعي، وعدم الاستقرار في العلاقات العامة الاجتماعية، وتنمية الفردية والروح الاستهلاكية، والهروب من التصدي لواقع الحياة، والاستسلام له، وتوطين العجز في النفوس واضعاف الروابط الأسرية وقيمها، وتعميق المشاعر الذاتية أكثر من الالتزام الجماعي، والانبهار بالموديل الأجنبي على حساب الهوية الثقافية، وكذلك تراجع الانتماء، وازدياد اليأس والاحباط.

كما أشارت الدراسة إلى ضرورة الانتباه لهذه الظاهرة، على أنها قد تحمل توجهات سياسية وفكرية ملغومة تريد تدمير الواقع العربي، وثقافة المجتمع وقيمه.

وأثارت الدراسة تساؤلات حول شيوع هذه الظاهرة الاعلامية في الحياة العربية وتوقيته، ووجدت أن العامل الأساسي هو التسابق غير المشروع الى جذب الشباب لأسباب تجارية مادية ودخول المال العربي بشكل سلبي الى الانتاج الاعلامي والفني دون اعتبارات للواقع الاجتماعي، مشيرة الى أن الاستثمار في هذا المجال أصبح يأخذ مداه السلبي في تعميق ثقافة الاثارة.

واقترحت الدراسة وضع خطة اعلامية عربية لمواجهة هذه الظاهرة.. موضحة أن المواجهة لابد أن تستند الى خطة تتعلق بالطرق والوسائل الكفيلة بالتقليل من طوفان المادة الاعلامية الأجنبية في التلفزيون العربي، ومحاولة منع ظاهرة البرامج الواقعية التي لا ترتبط بقيم المجتمع وثقافته، مع أهمية تحصين الشباب سياسياً واجتماعياً وثقافياً وتربوياً، وتعميق وعيه بمضامين الغزو وسلبياته، وتطوير وسائل اعلامه الوطنية عن آرائهم وأفكارهم وتطلعاتهم في وسائل الاعلام، وإشراكهم في صنع القرار الاعلامي، ومشاركتهم في انتاج برامجهم صناعةً وكتابةً وتنفيذاً.

كما أكدت الدراسة ضرورة اللجوء الى التراث العربي الاسلامي باعتباره مصدراً ثرياً لمواجهة تحديات وافرازات العولمة، وعاملاً مساعداً لتشكيل تجانس ذهني وروحي بين شباب الأمة.

الشكل والمضمون في النص الأدبي

■.. يعتبر مصطلح (المضمون) مصطلحاً أدبياً وفنياً معاصراً، يرادفه في الدلالة مصطلح معاصر آخر «المحتوى» وهو يشير بتوسع الى ما اصطلح القدامى على تسميته «بالمعنى» أو بالفكرة في مقابل اللفظ أو المبنى عندهم، وفي مقابل الشكل في معجمنا المعاصر.

واذا كان «المعنى» يكاد يقتصر في الاصطلاح المعاصر ليشمل مدلول «اللفظ» وينحصر في نطاق الآثار الأدبية فإن «المحتوى» أو «المضمون» يتسع في الاصطلاح المعاصر ليشمل مدلول «اللفظ» في الكلمة والعبارة والنص بكامله، مع ما يشمل عليه النص من أبعاد ودلالات ويتعدى حدود الأدب، ليشير الى مدلول الآثار الفنية على اختلافها.

هايل علي المذابي

واذا كان «اللفظ» أو «المبنى» في مفهوم القدماء يكاد يقتصر على دلالة الكلمة ويتجاوزها ليشير الى مدلول العبارة، فإن الشكل في الاصطلاح المعاصر يشتمل على هذا المدلول ويتعداه ليشير الى مختلف الدلالات اللغوية والاسلوبية في النص الأدبي، كما في الفنون الجميلة على أنواعها.

والمضمون أو المحتوى هو ما يحاول النص الأدبي، أو الأثر الفني أن يقوله، أما الشكل فهو الكيفية اللغوية والاسلوبية في التعبير عن ذلك المضمون.

ثمة علاقة بين الشكل والمضمون، وهي اشكالية طالما كانت ومازالت موضوع جدل ونقاش، ففي رأي البعض أن الأولوية للمعنى أو «المضمون» في حين يرى آخرون أن الأولوية هي للفظ أو «للشكل».

والحقيقة أن العلاقة بين المحتوى والشكل هي علاقة عضوية لا يمكن فصلها أو تجزئتها كالعلاقة بين الروح والجسد، والشكل بوابٌ بالمضمون، والمضمون بوابٌ بالشكل، وكلاهما تعانق حبيبين، والمضمون يفرض الى حد بعيد شكله، والشكل يفرض بهذا القدر أو ذاك مضمونه، والعمل الابداعي الناجح هو الذي يتكافأ فيه الشكل والمضمون في آنٍ.

وقد برزت هذه القضية أي قضية «الشكل والمضمون» لدى نقاد الغرب بقوة كما برزت من قبلهم لدى نقاد العرب القدماء، ولنذكر بعضاً من هذه الآراء التي أبديت حول هذه القضية ونناقشها.

من نقاد العرب القدماء الذين يولون جمالية الشكل المرتبة الأساسية أبو عثمان الجاحظ، إلا أنه يولي في الوقت نفسه ارتباط المضمون بالحياة وانفتاحه على وقائعها وأحداثها قيمة لا تقل كثيراً عن القيمة الفنية للغة التعبير وأسلوبها، فهو يميز تمييزاً واضحاً بين ثروة المعنى التي تمتد الى ما لا نهاية، ومحدودية الألفاظ التي لا تتحصل إلا بالجهد والمراس فهو يقول في كتاب البيان والتبيين «إن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ لأن المعاني مبسوطة الى غير نهاية أو غاية، أو أسماء المعاني مقصورةٌ معدودة ومتحصلة محدودة».

ويقول في كتاب الحيوان «ذهب الشيخ الى استحسان المعنى والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العربي والأعجمي والبدوي والقروي، وانما الشأن في إقامة الوزن وتمييز اللفظ وسهولته في المخرج وفي صحة الطبع وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة، وضرب من الصبغ، وجنس من التصوير..».

على أن القاعدة العامة لعلاقة اللفظ بالمعنى تقوم عنده على مطابقة اللفظ للمعنى، ومؤاتاتهما معاً لمقتضيات الحال وظروف القول، وهذا شرط البلاغة أصلاً كما هو معروف.

ومن بعد الجاحظ جاء عبدالقاهر الجرجاني وأبدى رأياً في كتاب دلائل الاعجاز فصل من قدم الشعر لمعناه رأياً مفاده أن الأولوية هي للشكل، ولكنه في نفس الوقت يقول «اذا اتبعنا العرف والعادة، وما يهجس في الضمير وما عليه العامة أرانا ذلك أن الصواب معهم وأن التعويل ينبغي أن يكون على المعنى، وأنه لا يسوغ القول بخلافه»، ثم يقول: «وأن الأمر بالضد اذا جئنا الى الحقائق الى ما عليه المحصّلون لأنا لا نرى متقدماً في علم البلاغة مبرزاً في شأوها إلا وهو ينكر هذا الرأي - أي رأي أن المعنى له الأولوية - ويعيبه ويزري على القائل به ويغض منه».

ولو تأملنا كلامه جيداً لوجدنا أنه قد تعاطف مع مسألة المعنى أو المضمون ثم يذكر في نهاية الفصل - فصل من قدم الشعر لمعناه - الأسباب التي جعلته يرجح كفة الشكل على المضمون وهي أنه بنى كلامه على أساس اعجازي، فلو نظرنا الى المعنى وأولينا المرتبة الأساسية لكان القرآن الكريم كلاماً ككلام اليهود، ونحن نعلم أن القرآن لم يُنزل إلا لاعجاز العرب فصاحةً وبلاغةً فنتج عن هذا الأخير التعصب والانحياز من قبل نقاد العرب القدماء في ظاهر أقوالهم للشكل، وبما أن القرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان وديمومته هذه إنما هي من جهة المعاني، ونستنتج من هنا أن العلاقة علاقة عضوية تكاملية - كما ذكرنا سابقاً - بين الشكل والمضمون وهذا ما أراداه وما سيجده المتأمل في كلام الجاحظ وعبدالقاهر وغيرهم ممن تناولوا هذه القضية بالنقاش.

ونستطيع من خلال تلك الآراء وغيرها أن نستنتج أهم الاستعمالات التي استخدمت لغرض تفسير كلمة «المعنى» تقريباً:

١) الغرض الذي يقصد اليه المتكلم.

٢) الفكرة النثرية العامة المتخلفة في شرح القصيدة أو نثرها.

٣) الأفكار الفلسفية والخلقية خاصة.

٤) التصورات الغريبة والأشباه النادرة.

● أما الأغراض التي استخدمت لتفسير كلمة «اللفظ» تقريباً هي:

١) ما نسميه بالتكوين الموسيقي وايقاع العبارات.

٢) الصورة الدقيقة للمعنى، وما تنطوي عليه من تفصيلات تهمل غالباً في التعبير النثري المقابل.